المعلّم بطرس البستانيّ : حياته و جهوده العلمية

عبدالأكبر حضرت عمر

ABSTRACT:

This research deals with the life and literary works of Butrus-Ul-Bustani, an Arab literary figure of the 19th Certury. His contributation to Arabic Language and literature is mentioning. The Muhit-Ul-Muhit and Dairat-Ul-Marif are his most famous and valuable works. The first one is a dictionary of Arabic Language, that left positive effective on the dictionaries written after it, because the later lexicographers, who produced dictionaries, were impressed my the methodology of Al-Muhit. Another feature of this dictionary is that the author, inspite of being a Christian, does not hesitate refering to the Holy Quran and Hadith, during deep explanation of Arabic words, that shows his belief in the authenticity of both the aforesaid sources. The Dairat-Ul-Marif is the first encyclopeadia in Arabic compiled by an individual author according to modern western style. It was a scholarly gift to the Arab and to the World of knowledge.

كان المعلم بطرس البستانيّ عالماً، مفكراً، لغويّاً، باحثاً، أدبياً، زعيم الحركة الأدبية فى الشام وأحد أركان النهضة الفكرية و الأدبية فى القرن التاسع عشر و كانت حياته منذ طلبه العلم حتى الشيخوخة حافلةً بالجهد المستمرّ والنشاط المتواصل و كان دؤدباً فى العمل، متضلعاً بالعلوم، منقطعاً إلى المطالعة والبحث والتأليف فظهرت إنتاجاته العلمية وكان لها أبلغ الأثرفى ثقافة عصره وإليك ترجمة حياته و أعمالهَ التاليفية بقدرٍ من التفصيل فى هذا المقال الوجيز.

أسرته: هومِنُ أسرةٍ مسيحيةٍ شهيرةٍ اسمها البستانيّ و كانت أسرته قد اشتهرت بالعلم و نبغ منها طائفة من العلماء والأدباء و رجال الدين الموسومين بالأساقفة (١) لعبوا دوراً فعالاً فى النهضة الحديثة و خلّدهم التاريخ (٢)

اسمه: ذكرت المصادر دون أى اختلاف أن اسمه 'بطرس' (٣)

لقبه: أطلق عليه لقب "المعلّم" لما كان يتمتع به من ثقافة موسوعية وطاقة تأليفية (٤)

نسبه: هو بطرس بن بولس بن عبدالله بن كرم بن شديد بن أبى شديد بن محفوظ بن أبى محفوظ البستانيّ(٥)

مولده و نشأته: ولد بطرس سنة ١٨١٩م/١٢٣٥ه في الدبّيّة من إقليم الخروب بقرب نهرالدامور بلبنان (٦) ولد من أبوين مسيحيين مارونيين في عهد الأميربشير واتسم بسمات الفطنة والذكاء والنجابة منذطفولته فيما كان بتلقى مبادئ العلوم فاهتم أبوه بتعليمه و أرسله إلى مدرسة "عين ورقة" كبرى مدارس في ذلك الوقت و كانت مدرسة عين ورقة، معروفة في لبنان لتثقيف الإكليروس المارونى(٧) فقضى بطرس فيها عشر سنين من عمره يتعلم المنطق والحساب والجغرافية ومبادئ الفلسفة واللاهوت والشرع الكنسيّ والقانون و أجاد خلال تلك الفترة عدداً من اللعات الشرقية والغربية كالعربية والسريانية واللاتينيّة والإيطالية(٨)

فراغه من المدرسة و حياته الحافلة بالتعّلم والتعليم والترجمة

خرج بطرس البستانيّ من المدرسة وهو ابن العشرين وكان المطران عبدالله يريد أن يرسله إلى رومية للدخول في سلك الإكليروس إلّا أن والدة بطرس لم ترض به فلم يذهب بطرس إليها وعُيّن مدرّساً في مدرسة عين ورقة و درّس بها فترة من الزمان ثم وفد إلى بيروت سنة ١٨٤٥م و تعلم الإنكليزية على نفسه في ساعات الفراغ (٩) وهنالك دعاه الأمريكيون الّذين جاءوا للتبشير إلى بيروت دعوه إلى أن يعلّمهم اللغة العربية و يعرّب لهم بعض الكتب الدينية فلبّاهم وانضمّ إليهم واشتغل بما أرادوه منه و في تلك الأيام نشأت بينه و بين كرنيلوس فانديك. أحدالأمريكيين المنصّرين. صداقة فلّما أنشأ الأخير مدرسة عبية سة ١٨٤٨م، عيّنه معلّماً فيها فعلّم بطرس البستانيّ في مدرسة عبية سنتين.(١٠)

عيّن بطرس البستانيّ ترجماناً في القنصلية الأمريكية ببيروت و عمل بتلك الوظيفة فترةً أعان خلالها عالى سميث و كرنيلبوس. المنصّرين الأمريكيين. في ترجمة التوراة من العبرية إلى العربية إلى جانب ترجمة بعض الكتب الأخرى.(١١)

تأسيسه المدرسة الوطنيّة

أسّس بطرس البستانيّ سنة ١٨٦٣م مدرسة أسماها المدرسة الوطنيّة اشتهرت بالحرية الدينية أسّسها بطرس البستانيّ كي تتفق قلوب الطلاب على الاتحاد و هم صغار جاء الطلاب للالتحاق بها من مختلف الشعوب و مختلف البلدان كل لشام و مصر والآستانة واليونان والعراق (١٢) وكانوا يتعلمون فيها التعلق الوطنيّ والمحبة البشرية بالإضافة إلى ما يتعلمون فيها من العربية والإنكليزية والفرنسية والمواد الدراسية الأخرى و تخرج فيها طائفة من الأدباء (١٣)

إصداره الصحف العربية

أصدر بطرس البستانيّ أربع صحف فينةً بعد فينةٍ وإليك أسماء هامع ذكر تواريخ إصدارها:

نفير سوريا: أصدرها البستانيّ سنة ١٨٦٠م و كانت أول جريدة وطنية راقية على ما صرّح به الدكتور ألبير مطلق (١٤)

الجنان: أصدرها بطرس البستانيّ سنة ١٨٦٩م ببيروت و كانت مجلة عامة تجمع بين العلم والأدب والسياسة وكانت نصف شهريةٍ عاشت بضع عشرة سنة كتب عنها (١٥) حرجى زيدان "وكانت ميداناً لأقلام كتاب العربية فى ذلك العصر فى السياسة والأدب والتاريخ والشعر والعلم والطب والحقوق والزراعة ..... وغيرها (١٦)

الجنبة : أنشأ ها بطرس البستانيّ سنة ١٨٧٠م وكانت مجلة سياسية علمية أدبية تاريخية(١٧)

الجنينة : قام البستانيّ بإصدارها سنة ١٨٧١م وكانت أول جريدة يومية أصدرت باللغة العربيه(١٨)

تاريخ وفاته: توفى بطرس البستانيّ فجأةً فى بيروت سنة ١٨٨٣م/١٣٠٠ه (١٩)

مكانته العلمية:

كان المعلم بطرس البستانيّ من كبار المؤلفين و أشهر الأدباء العرب وكان ركناً أساسياً من أركان النهضة الفكرية والأدبية فى عصره وكان رائداً من رُوّاد الصحافة العربية وكان أول فى تاريخ الكُتّاب العرب من تعهد بابتداء مشروع دائرة المعارف و قَبِلَ متطوعاً مسئوليةَ هذا العمل الشاقّ الّذى لم يسبق إليه أحد. بدأ المشروع وحده منفرداً معتمداً على نفسه دون مشاركة الآخرين من المؤلفين الخبراء، و مع ذلك كلّه جاء بالمعلومات عن العلم والأدب والتاريخ ـــ وسائرالعلوم الطبيعية والرياضية والأدبية. عمل ليل نهار لتقديم دائرة المعارف إلى القراء العرب فكلّلت جهوده بتاج النجاح حيث أتى بستةِ أجزاءِ دائرة المعارف . طُبِعَ كلُ منها فى حياته وبدأ فى الجزء السابع إذ وافته المنيّة ولم تمهله لإكمالها فأتمّ ابنه سليم البستانيّ الجزء السابع والجزء الثامن ثم أتم نجيب وأمين البستانيّ بمساعدة سليمان افندى البستانيّ الجزء التاسع والجزء العاشر والجزء الحادى عشر. كتب يوسف إليان سركسيس عما تضلع بطرس البستانيّ بالعلم والفضل و الأدب قائلاً : وكان المترجم فى حياتة مثال الفضل والاجتهاد ونموذج البراعة والأدب و عنوان التجلد و الثبات

فی خدمة العلم(٢٠)

مؤلّفانه :

أسهم المعلم بطرس البستانيّ فی ترجمه التوارة من العبرية إلى العربية كما أنه ترك فی ميدان التأليف آثاراً قامت بدورٍ فعالٍ فی نشرالعلوم و تنشئة الأذهان وكان قلمه السيال تناول عديداً من الموضوعات فی التاليف كالحساب والصرف والنحو واللغة والأدب و إلى جانب تاليفه الكتب ذات الاهمية البالغة ترك من الخطب والمحاضرات الّتی ألقاها فی الجمعيات والأندية من حين إلى آخر وأضف إلى ذلك ماجاء به الرجل من المقالات فی الجرائد و المجلات والصحف. وإليك ماكتبه إليان سركيس عن مؤلفانه قائلاً : "وللمعلم البستانيّ تآليف مفيدة تدوالتها الأيدى فی سائر الأصقاع"(٢١) وأهم أعماله التأليفية اثنان وهما: دائرة المعارف و قاموس أسماه "محيط المحيط"

دائرة المعارف:

عرّفها بقوله: إنّها "قاموس لكل فنّ و مطلب" بدأفی تأليفها سنة ١٨٧٦م فأتم منها ستة مجلدات و بدأ فی السابع فوافاه الأجل فبقيت دائرةُ المعارف ناقصةً و ممّا يثير إعجابنابه هواجتراؤ ه على عملٍ موسوعيّ شاقٍّ مضنٍ عظيمٍ جسيمٍ لاتكفيه مواهبُ الرجل الواحد و جهوده الجبارة بل العمل يقتضى جهودَ طائفة من الخبراء و جماعة من المتخصّصين كافح الرجل كفاحاً شديداً و عمل ليل نهار لتزويد العرب بهديةٍ علميةٍ قيّمةٍ ذات الأهمية الكبيرة وكان هماماً، دؤوباً، صبوراً، واسع الاطلاع متسع الثقافة، متقن اللغات العديدة شرقيةً و غربيةً فتغلّب على الصعوبات العارضة بهذا الصدد وكان بطرس البستانيّ أول من بدأ مشروع دائرة المعارف باللغة العربية على المنهج الحديث فی التأليف فإليك ماكتبه محمد أديب ياسرجی و محمد أمير ناشر:

" إن دائرة معارف بطرس البستانيّ (ت ١٨٨٣م) أول محاولة لإصدار موسوعة باللغة العربية على نمط الموسوعات الّتی يصدرالغربيون. (٢٢) ولموسوعة البستانيّ أهميتها التاريخية إذ أصدرت موسوعات عديدة بعدها والفضل للمتقدم.

محيط المحيط:

رتبه المعلم بطرس البستانيّ على حروف المعجم باعتبار الحرف الأول من الثلاثی المجرد وأدخل فيه كثيراً من المصطلحات العلمية والألفاظ المولّدة والعامية و نشره فی جزئين عن بيروت

سنة ١٨٦٧م و من الجدير بالذكر أن بطرس البستانيّ استشهد بنصوص القرآن والحديث رغم أنه كان مسيحيّاً فإن دلّ فدلّ على أنه كان يؤمن بعبقر يتهما اللغوية

و "محيط المحيط" له شأن لأنه تأثربه كلّ من قام بتأليف معجمٍ بعده فرأى الدكتور عبدالسميع محمد أحمد أن لويس معلوف اليسوعيّ استعان ب "محيط المحيط" فى تأليف "المنجد" وإليك بيانه بلفظه: "واعتمد (المعلوف اليسوعيّ) أكثر الاعتماد على "محيط المحيط" لبطرس البستانيّ (١٨١٩م ، ١٨٨٣م) واستفادمنه كثيراً" (٢٣) وكتب الدكتور أميل يعقوب عن تأثير محيط المحيط فى المعاجم المؤلفة بعده: "كان "لمحيط المحيط" أثرمهّم فى مسيرة تطور المعجم العربى إذ قطع خط الرجعةعلى ترتيب القافية، مساهماً فى تثبيت النظام الألفبائيّ الذى يراعى أوائل جذور المفردات، وقد تأثربه، سواء فى النهج أم فى شرح الموادّ، كلّ من "أقرب الموارد" لسعبد الشرتوتيّ (١٨٤٩-١٩١٢م) و "البستان" لعبدالله البستانيّ (١٨٥٤-١٩٣٠م)" و "المنجد" للولس المعلوف (١٨٦٧-١٩٤٦م) (٢٤) . طبع الكتاب فى بيروت سنة ١٨٧٠م فى مجلدين ثم أعادت مكتبة اللبنان طبعه كما أن المكتبة المذكورة قامت بتجديد طبع الكتاب فى مجلد واحد سنة ١٩٧٧م

قطر المحيط:

رأى المعلم بطرس البستانيّ أن محيط المحيط مطوّل بالنسبة لطلاب المدارس فاختصره فى حزءٍ واحدٍ وأسماه قطرالمحيط (٢٥) وهو مطبوع

وأما مؤلفانه حول موضوعات أخرى غيرالموضوعات اللغوية فهى كالآتى:

١- آداب العرب - خطبة - طبع الكتاب ببيروت سنة ١٨٥٩م (٢٦)

٢- تاريخ نابليون الأول امبراطور فرنسا - اشتمل الكتاب على ٤٣٥ صفحة و طبع ببيروت سنة ١٨٦٨م (٢٧)

٣- رومة التجار فى مبادئ مسك الدفاتر - مطبوع ببيروت سنة ١٨٥١م (٢٨)

٤- قصه روبنسون كروزى - عرّب البطرس البستانيّ القصة المذكورة عن الإنكليزبه وهى مطبوعة كماصّرح بها يوسف إليان سركيس إلّا أنه لم يذكر سنة الطبع (٢٩)

٥- كشف الحجاب فى علم الحساب - طبع الكتاب مرّتين بيروت : الأولى سنة ١٨٤٨م والأخرى ١٨٨٧م (٣٠)

٦- ألكوثر - كان المعلم بطرس البستانيّ يقصد أن يسمّى دائرة المعارف بالكوثر فأخرج إعلانه

إلـى الـنـور سـنة ١٨٧٤م ببيروت و سماه "الكوثر" و اشتمل الكوثر على أربع عشرة صفحة (٣١)

٧ـ مـصباح الطالب فى بحث المطالب ـ وهـو شـرح على بحث المطالب للمطران جرمانوس فرحات و طبع الشرح سنة ١٨٥٤م ببيروت (٣٢)

٨ـ المصباح ـ ذكره خيرالدين الزركليّ و صرّح بأن موضوعه النحو وهو مطبوع (٣٣)

٩ـ مـفتـاح المصباح ـ ذكر عمر رضا كحالة أنه فى الصرف والنحو (٣٤) و صرَّح يوسف إليان سركيس أنه اشتمل على ٣٦١ صفحة وهو مطبوع (٣٥)

١٠ـ مـختـصر مصباح المفتاح ـ أشار يوسف إليان سركيس إلى أن بطرس البستانيّ اختصره من مفتاح المصباح ـ اختصره للمبتدئين. (٣٦)

١١ـ الهيئة الاجتماعية و المقابلة بين العوائد ـ كتيب اشتمل على ٤٢ صفحة و طبع ببيروت سنة ١٨٦٤م٠

و بـمـجـرد الـنـظـر إلى مامرّ من قائمة مؤلّفاته نرى أن المعلم بطرس البستانيّ كان راغباً فى التـأليف عـازمـاً عـلى تقديم الكتب المؤلّفة حول موضوعات عديدة إلى القراء العرب شرقاً وغرباً وقضى حياته مشمراً عن ساق الجد خدمةً لأهل العلم والأدب ٠

الهوامش

١ـ تاريخ آداب اللغة العربية ٤/٢٨٦ ٢ـ الموسوعة العربية ٤/٤١٩

٣ـ الأعلام /٥٨ و معجم المؤلفين ٣/٤٨، تاريخ آداب اللغة العربية ٤/٢٨٦

المنجد فى الأعلام ٧٤،والموسومة العربية المسيرة ٣٧١، والموسوعة العربية العالمية ٤/٤١٩

٤ـ الموسوعة العربية العالمية ٤/٤١٩ ٥ـ معجم المؤلفين ٣/٤٨

٦ـ المصدرنفسه ٧ـ معجم المطبوعات العربية والمعرّبة ١/٥٥٧

٨ـ تاريخ آداب اللغة العربية ٤/٣٨٦ ٩ـ المصدرنفسه

١٠ـ معجم المطبوعات العربية والمعرّبة ١/٥٥٧ و تاريخ آداب اللغة العربية ٤/٢٨٦

١١ـ معجم المطبوعات العربية والمعرّبة ١/٥٥٧ ١٢ـ المصدرنفسه ١/٥٥٧

١٣ـ الموسوعة العربية العالمية ٤/٤١٩

١٤ـ كتب الدكتور ألبير مطلق أستاذ اللغة العربية فى الجامعة اللبنانية ترجمة موجزة للمعلم بطرس، البستانيّ طبعت الترجمة في طيتي الغلاف "لمحيط المحيط" المطبوع ببيروت سنة ١٩٧٧م

١٥ـ تاريخ آداب اللغة العربية ٢/٦٤

١٦ـ الترجمة الموجزة للمعلم بطرس البستانيّ تاليف دكتور ألبير مطلق

١٧ـ

١٨ـ الموسوعة العربية العالمية ٤/٤١٩

١٩ـ الأعلام ٢/٥٨، و معجم المؤلفين ٣/٤٨، و تاريخ آداب اللغة العربية ٤/٢٨٦

٢٠ـ معجم المطبوعات العربية والمعرّبة ١/٥٥٧ ٢١ـ المصدرنقسه

٢٢ـ مقال تحت عنوان "الموسوعات العربية والإسلامية تاريخاً و واقعاً، فى مجلة الفيصل الشهرية العدد ٢٧١ـ صفر ١٤٢٠هـ ـ مايو/ يونيو ١٩٩٩م

٢٣ـ المعاحم العربية دراسته تحليلية، الكتاب الأول، ١٨٦

٢٤ـ العاحم اللغوية العربية بداء تهاوتطورها، ١٤٢ ٢٥ـ إيضاح المكنون، ٣/٢٣٥

٢٦۔ معجم المطبوعات العربية والمعربة ١/٥٥ ٢٧۔ المصدر نفسه
٢٨۔ المصدرنفسه ٢٩۔ المصدر نفسه ٣٠۔ المصدر نفسه
٣١۔ المصدر نفسه ٣٢۔ المصدر نفسه ٣٣۔ الأعـــلام ٥٨/٢
٣٤۔ معجم المؤلفين ٣/٤٩ ٣٥۔ معـجـم الـمـطبوعات العربية والمعرّبة ٥٥٧/١
٣٦۔ المصدر نفسه ٣٧۔ المصدر نفسه